التبرير بالإيمان

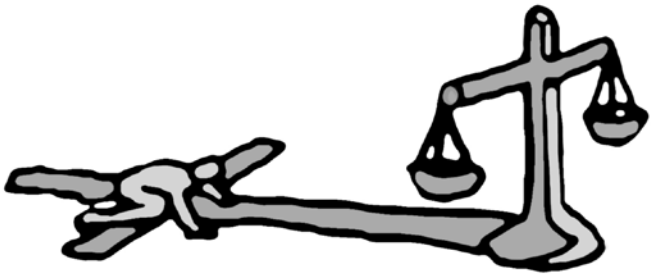

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ٣: ١٩- ٢٨.

آيـة الحفـظ: «إِذًا نَحْسِـبُ أَنَّ الإِنْسَـانَ يَتَبَـرَّرُ بِالإِيمَـانِ بِـدُونِ أعمـال النَّامُـوسِ» (رومیــة ٣: ٢٨).

فـي هـذا الـدرس نأتـي إلـى أهـم موضـوع فـي الرسـالة إلـى رومیـة: التبريـر بالإيمـان- وهـو الحـقّ العظيـم الـذي، أكثـر مـن أي حـق آخـر، أدى إلـى حـدوث الإصـلاح البروتسـتانتي. وبالرغـم مـن الادعـاءات التـي تـرى غيـر ذلـك، إلا أن موقـف رومـا بشـأن هـذا الاعتقـاد – التبريـر بالإيمـان – لـم يتغيـر عَمَّـا كان عليـه سـنة ١٥٢٠م، عندمـا أصـدر البابـا «ليـو» فرمانـاً بابوّيـاً يديـن فيـه مارتـن لوثـر وتعاليمـه. لقـد أحـرق مارتـن لوثـر نسـخةً مـن ذلـك الفرمـان لأنّ هـذا المبـدأ – مبـدأ التبريـر بالإيمـان – دون غيـره لا يمكـن المسـاومة فيـه.

إن عبـارة «التبريـر بالإيمان» في حد ذاتها هي اسـتعارة تسـتند إلـى المصطلحات القانونية. فالمتعـدّي علـى النامـوس أو القانـون يقف أمـام القاضي ويُحكَم عليـه بالمـوت لتعدّياته. لكنّ البديـل يظهـر ويحمـل جرائـم المتعـدّي علـى عاتقـه منقـذاً المجـرم الجانـي. وبقبـول البديـل، يقـف المتعـدّي أمـام القاضـي، ليـس فقط خالياً مـن الذنب وإنّمـا يُعتبر وكأنّه لـم يقترف جرماً أدى بـه إلـى المثـول أمـام القاضـي فـي المحكمـة. هـذا كلّـه لأنّ البديـل – الـذي لديـه سـجلّ ناصـعٌ كامـلٌ – يمنـح الخاطـئَ المبرّرَ سـجلّهُ المتسـم بالحفظ الكامـل للناموس.

فـي خطّـة الخـلاص، كلّ واحـد منّـا هـو المجـرم. والبديـل، يسـوع، لـه سـجلّ كامـل، وهـو يقـف بديـلاً عنّـا فـي المحكمَـة. ويُقْبَـل بـرّه بديـلاً عـن إثمنـا. ومـن هنـا فنحـن نتبـرّر أمـام الله، ليـس بسـبب أعمالنـا ولكـن بسـبب يسـوع الـذي يُحسـب بـرّه لنـا عنـد قبولنـا لهـذا البـرِّ بالإيمـان. هـذه هـي الأخبـار السـارّة.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر).

أعمال الناموس

اقرأ رومية ٣: ١٩، ٢٠. ماذا يقول بولس الرسول هنا عن الناموس؟ وماذا يقول عمّا يفعله الناموس وعمّا لا يفعله، وكذلك ما لا يستطيع أن يفعله؟ لماذا تعد هذه النقطة هامة جدّاً بالنسبة لكلّ المسيحيّين كي يستوعبوها؟

يستخدم الرسول بولس كلمة (الناموس) بمعناها الواسع كما كان اليهودي يفهمها في عصره. فاصطلاح التوراة (الكلمة العبرية لكلمة ناموس)، يُذكِّر اليهودي، حتى في يومنا هذا، بتعاليم الله في كتب موسى الخمسة، بل وفي العهد القديم كلّه.

فإنَّ الناموس الأدبي، بالإضافة إلى ما يترتب عليه من قوانين وأحكام، فضلا عن القوانين الطقسية، كلّ ذلك كان متضّمناً في تعاليم الله في كتب موسى الخمسة. ولهذا فنحن هنا نأخذ كلمة الناموس لتعني النظام اليهودي الشامل.

أن تكون تحت الناموس معناه أن تكون تحت سلطانه، والناموس على أي حال، يعلن نقائص الإنسان وجرمه أمام الله. لا يقدر الناموس أن يمسح ذلك الجرم، وأمّا ما يستطيع عمله هو أن يقود الخاطئ ليطلب علاجاً له.

وإذ نطبّق رسالة رومية اليوم، حيث لا سلطان للناموس اليهودي، فإننّا نفكّر بصفة خاصّة في الناموس الأدبي. وهذا الناموس لا يستطيع أن يخلّصنا أكثر من النظام اليهودي لخلاص اليهود. فخلاص الإنسان ليس مهمّة الناموس الأدبي. إنّ مهمّته هي إعلان مشيئة الله وأخلاقّه. إنّ مهمّة الناموس الأدبي هي تنبيه الناس عن أخطائهم وحيث قصّروا في عكس صورة الله وأخلاقه.

أيّ ناموس مهما كان، أدبي، طقسي، مدني أو كلّها مجتمعةً – فحفظ أيّ منها أو جميعها لا يجعل الإنسان مبرّراً أمام الله في نظره. وفي الحقيقة لم يكن هذا من اختصاص الناموس. على النقيض، فإن الناموس مهمّته أن يشير إلى نقائصنا ويقودنا للمسيح.

لا يمكن للناموس أن يخلّصنا، تماماً كما لا يمكن لأعراض المرض أن تشفي المرض. فكل ما تفعله أعراض المرض هي أنها تبيّن الحاجة إلى العلاج، وذلك هو ما يعمله الناموس.

ما مدى نجاح جهودك في حفظ الناموس وطاعته؟ ماذا ينبغي لهذه الإجابة أن تخبرك عن عدم جدوى محاولة أن تنال الخلاص من خلال حفظ الناموس؟

الاثنين

٢٣ تشرين الأول (أكتوبر)

برّ الله

«وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ» (رومية ٣: ٢١). كيف ينبغي أن نفهم ما تعنيه هذه الآية؟

هذا البِرُّ الجديد مقارنةً ببرّ الناموس الذي كان مألوفاً عند اليهود، هذا البرّ الجديد يُدعى «برّ الله»؛ وهذا هو البرّ الذي يأتي من فوق، البرّ الذي يقدّمه لنا الله وهو البرّ الوحيد الذي يقبله كَبِرٍّ حقيقي.

وهذا هو، بالطبع، البرّ الذي مارسه يسوع في حياته بينما كان في الجسد، وهو بِرّ يقدّمه إلى كل الذين يقبلونه بالإيمان، ويطالبون به لأنفسهم ليس لأنهم يستحّقونه بل لأنهم في حاجة ماسّة إليه.

«البرّ هو طاعة للناموس. الناموس يطلب البرّ وهذا ما يدين به الخاطئ إلى الناموس، ولكنّ الخاطئ غير قادرٍ على الإتيان به، والطريقة الوحيدة التي عن طريقها يحصل على البرّ هي من خلال الإيمان. بالإيمان يمكنه أن يحمل إلى الآب استحقاقات المسيح، والربّ يضع طاعة ابنه الحبيب في حساب الخاطئ. يُقْبَل برّ المسيح مكان إخفاق الإنسان، والله يقبل ويغفر ويبرّر النفس المؤمنة التائبة، ويعامل ذلك الإنسان كأنّه بارّ ويحبّه كما يحبّ ابنه الوحيد» (روح النبوة، رسائل مختارة، مجلد ١، صفحة ٣٦٧). كيف يمكنك أن تتعلّم وتقبل حقيقةً عظيمةً كهذه لنفسك؟ انظر أيضاً رومية ٣: ٢٢ .

هنا إيمان يسوع المسيح، لا شكّ أنّه إيمان بيسوع المسيح. وإذ يسري مفعوله في حياة المسيحي فالإيمان هو أكثر بكثير من مجرد قبول وتصديق عقلي، وهو أكثر من مجرّد اعترافٍ بحقائق معيّنة عن حياة المسيح وموته. فبدلاً من ذلك، الإيمان الحقيقي بيسوع هو قبوله كمخلّص وبديل وضامن وربّ. والإيمان بيسوع المسيح يعني أيضاً أن نختار أن نحيا حياة تتفق ومشيئته. إنّها الثقة فيه والسعي بالإيمان إلى عيش حياتنا وفقاً لوصاياه.

بنعمته

واضعين في اعتبارنا ما درسناه إلى الآن عن الناموس وعمّا يعجز الناموس عن فعله، اقرأ رومية ٣: ٢٤. ماذا يقول بولس الرسول هنا؟ ما معنى أن يكون الفداء بواسطة يسوع؟

ما هي فكرة التبرير كما هي مدوّنة في هذه الآية؟ الكلمة اليونانية dikaioo المترجمة «يبرّر» يمكن أن تترجم ويجعله «باراً» أو «يعتبره باراً». والكلمة مبنيّة على نفس أساس كلمة dikaiosune، أي «بِرّ»، والكلمة dikaioma، أي «مطلب التبرير». يوجد هنا رباطٌ قويّ بين التبرير والبِرّ. إنّها رابطة لا ترد كثيراً في الترجمات المختلفة. فنحن نتبرّر عندما يعلن الله أننّا صرنا أبراراً.

قبل هذا التبرير يقف الإنسان مذنباً أمام الله وغير مقبول عنده، ولكن بعد التبرير يعتبر ذلك الإنسان بارّاً وهكذا يصير الإنسان مقبولاً لدى الله.

وهذا يحدث فقط من خلال نعمة الله. النعمة هي فضل وإحسان. فعندما يلجأ الخاطئ إلى الله طلباً للخلاص، فهنا ينبري عمل النعمة فَيُعْتبر أو يُعْلَنْ ذلك الإنسان بارّاً. إنّه فضلٌ غير مكتسب أو مستحق، والخاطئ يُبَرَّر دون أي فضل له، ولا يقدّم لله أي استحقاقات عدا عجزه التام. ويتبرر الشخص من خلال الفداء الذي في يسوع المسيح، وهو الفداء الذي يقدمه المسيح كبديل عن الخاطئ وضامنه.

ويُقدّم التبرير في رومية كعمل فوري مباشر. ففي لحظة يكون الخاطئ مُداناً وغير مقبول، وفي اللحظة التالية، بعد التبرير، يصبح الإنسان مقبولاً وباراً.

والشخص الذي في المسيح ينظر إلى عملية التبرير على أنها فعل ماض حدث له عندما سلّم حياته كليّاً للمسيح. «قَدْ تَبَرَّرْنَا» في رومية ٥: ١ تعني أنه قد تمّ تبريرنا فعلاً.

بالطبع، لو حدث وسقط الخاطئ المبرّر ثم رجع إلى المسيح، فسيحدث التبرير مرة أخرى. ولو أُعْتُبِرَت الولادة الجديدة اختباراً يومياً، فسيكون من المعقول اعتبار التبرير اختباراً يومياً كذلك.

بما أن أخبار الخلاص هي أخبار سارّةً جداً، فما الذي يمنع الناس من الإقبال عليها؟ في حياتك الخاصة، ما هي الأشياء التي تعوقك عن قبول ما وعد به الله؟

برّ المسيح

في رومية ٣: ٢٥ يتوسّع بولس الرسول ليتكلم عن أخبار الخلاص العظيمة السارّة. إنه يستخدم كلمة فخمة، رائعة، جذابة مترجمة عن اليونانية hilasterion وهي propitiation أو «كَفَّارَة»، وقد ذُكرت مرّة ثانية في عبرانيين ٩: ٥ حيث تُرجمت «كرسي الرحمة» أو «الْغِطَاءُ»، أي غطاء التابوت الذي حُفِظت فيه الوصايا العشر. فالكلمة على ما يظهر، في رومية ٣: ٢٥، تمثّل استيفاء كلّ ما كان يمثّله الْغِطَاءُ في هيكل العهد القديم. وما يعنيه هذا، إذاً، هو أنّ المسيح بموته الكفّاري، قد جُعِلَ وسيلة الخلاص، وقد رُمِزَ إليه بـ «كرسي الرحمة» أو «الْغِطَاء». بالاختصار هذا يعني أنّ الله قد فعل كل ما هو لازم لخلاصنا.

والنصّ يتحدّث أيضاً عن الصفح عن الخطايا. إنّها خطايانا التي تجعلنا غير مقبولين عند الله. ونحن لا نستطيع عمل أي شيء بأنفسنا لحذف خطايانا. لكن في خطّة الفداء، قد دبّر الله طريقةً لهذه الخطايا بأن تزاح من خلال الإيمان بدم المسيح.

وكلمة «الصَّفْح» في اليونانية هي parisis وتعني أن «تَعْبُر عن» أو «تَمرَّ على»، فالله يمكنه أن يَعْبُرْ عن الخطايا الماضية لأن المسيح قد دفع الحساب عن خطايا الجميع بموته. وأي إنسان عنده إيمان بدم المسيح سَتُرفَع خطاياه لأن المسيح قد مات لأجله. (١كورنثوس ١٥: ٣).

اقرأ رومية ٣: ٢٦، ٢٧. ما النقطة الهامة التي سيتناولها بولس هنا؟

الخبر السار الذي كان بولس توّاقاً لمشاركته مع الآخرين الذين يسمعون، هو أنّ برّ الله كان في متناول الجميع وهو متيسّر لنا ليس نتيجةً لأعمالنا ولا باستحقاقاتنا ولكن بالإيمان بيسوع وما عمله لأجلنا.

بسبب صليب الجلجثة، يستطيع الله أن يعلن الخطاة أبراراً ويُعتبر عادلاً في نظر الكون كله ولا يقدر الشيطان أن يشير بإصبعه متّهما العلي لأنّ السماء قد قدمت التضحية الفائقة. لقد اتّهم الشيطانُ اللهَ بأنّه يطلب من الجنس البشري أكثر ممّا يعطيه. إنّ الصليب يبطل بكلّ قوّة هذا الادعاء الباطل.

يُحتمل أنّ إبليس توقّع أن الله سوف يدمّر العالم بعد أن أخطأ؛ وبدلاً من ذلك، أرسل الله ابنه الحبيب ليخلّصه. فماذا يقول لنا ذلك عن صفات الله؟ كيف ينبغي أن تشكّل معرفتنا بصفات الله كيفيّة حياتنا؟ ماذا ستفعل في ساعات اليوم القادم ويختلف عن ذي قبل، بعد أن عرفت جُود وصلاح الله؟

بدون أعمال الناموس

«إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أعمال النَّامُوسِ.» (رومية ٣: ٢٨). هل يعني هذا أنّه إذا كان الناموس لا يخلّصنا فنحن غير مطالبين بإطاعته؟ اشرح إجابتك.

في المضمون التاريخي كان بولس الرسول يتحدّث في رومية ٣: ٢٨ عن الناموس بشكله الواسع ومفهومه عند اليهود المتزمّتين. مهما حاول اليهودي أن يعيش بضمير حيّ تحت هذا النظام، فلا يمكن أن يتبرّر إن هو فشل في قبول يسوع كمسيّا.

إنّ رومية ٣: ٢٨ هي خاتمة حُجّة بولس بأنّ قانون الإيمان يُبْطِل الافتخار، أي أن الافتخار «قَدِ انْتَفَى». فلو كان الإنسان يتبرّر بأعماله، فإنّه يستطيع أن يفتخر بذلك. ولكن إن كان يتبرّر لأنّ يسوع هو غاية إيمانه، عندئذ فالفضل واضح بأنه يخصّ الله الذي يبرّر الخاطئ.

تُدلي روح النبوة بإجابة ذات مغزى عن السؤال، «ما هو التبرير بالإيمان؟» فقد كتبت تقول «إنّه عمل الله بطرح مجد الإنسان في التراب وعمل ما لا يستطيع الإنسان فعله بقوّته لأجل نفسه» (روح النبوة، شهادات للقساوسة وخدّام الإنجيل، صفحة ٤٥٦).

إنّ أعمال الناموس لا تستطيع أن تكفّر عن الخطايا السالفة. التبرير لا يمكن أن يُكتَسب، إذ يمكن فقط للخاطئ أن يتسلّمه من خلال خدمة كفّارة المسيح. لذلك، بهذا المعنى، فأعمال الناموس ليس لها شأنٌ بالتبرير. فلكي نتبرّر بدون أعمال يعني أنّنا نحصل على التبرير دون أن يكون في جعبتنا أي شيء يستحق التبرير.

لكنّ كثيرين من المسيحيّين أساءوا فهم وتطبيق هذه الآية. إنّهم يقولون بأنّ ما على الإنسان عمله هو أن يؤمن بينما يقلّل من أهميّة العمل أو الطاعة، حتّى طاعة الناموس الأدبي. وبتصرّفهم هذا فإنّهم أساءوا قراءة قصد بولس. ففي الرسالة إلى رومية وفي أماكن أخرى غيرها، يضع الرسول بولس أهميّة قصوى لحفظ ناموس الوصايا الأدبي. وقد حفظ المسيح الناموس بالتأكيد، كما فعل يعقوب ويوحنا (متى ١٩: ١٧؛ رومية ٢: ١٣؛ يعقوب ٢: ١٠، ١١؛ رؤيا ١٤: ١٢). ورأي بولس هو أنهُ بالرغم من أنّ طاعة الناموس ليست هي الوسيلة للتبرير، فالشخص المتبرّر بالإيمان يحفظ ناموس الله، بل وفي الحقيقة هو الشخص الوحيد الذي في مقدوره أن يحفظ الناموس الأدبي ويطيعه. إنّ الإنسان غير المتجدّد الذي لم يتبرّر بعد لا يستطيع أن يتمّم مطالب الناموس.

لمـاذا يكـون مـن السـهل أن نقـع فـي فـخ الاعتقـاد بانّـه حيـث أنّ النامـوس لا يخلصنـا، فليـس مـن الضـروري حفظـه وطاعتـه؟ هـل سـاومت فـي الخطيـة بادّعائك التبريـر بالإيمـان؟ لمـاذا يُعتبـر هـذا الأمـر وضعـاً خطيـراً؟ وفـي نفـس الوقـت، أيـن نكـون بـدون الوعـد بالخـلاص، حتـى عندمـا نميـل إلـى إسـاءة اسـتخدامه؟

الجمعة

٢٧ تشرين الأول (أكتوبر)

لمزيـد مـن الـدرس: اقـرأ الفصـل الذي بعنـوان «جـدد وعتقـاء»، صفحـة ١١٤- ١٢٥، فـي كتـاب «المعلـم الأعظم».

مـع أنّ النامـوس لا يقـدر أن يلغـي عقـاب الخطيـة بـل يطالـب الخاطـئ بـكلّ ديونـه، فالمسـيح قـد وعـد بالعفـو الغامـر لـكلّ التائبيـن والمؤمنيـن برحمتـه. إنّ محبّـة الله تُقـدّم بفيـضٍ إلـى النفـس المؤمنـة التائبـة. إنّ ختـم الخطيّـة علـى النفـس البشـريّة يمكـن فقـط إزالتـه بواسـطة دم الذبيحـة الكفّاريـة ... لـذاك المسـاوي لـلآب فـي الجوهـر. إنّ عمل المسـيح – حياتـه، اتضاعـه، موتـه ووسـاطته مـن أجـل الخاطـئ- كلّهـا تعظّـم النامـوس وتجعلـه جديـراً بالإكـرام» (روح النبـوة، رسـائل مختـارة، المجلـد الأول، صفحـة ٣٧١).

«فـإذا أنـت سـلمته نفسـك وقبلتـه فاديـاً ومخلّصاً لك حُسِـبت بـاراً كأنك لم تخطـئ قط. إذ أن صفاتـه قـد حُسِـبَت لـك فصـارت صفاتك» (روح النبـوة، طريق الحيـاة، صفحة ٤٣).

«عندمـا يقـوّل الرسـول بولـس بأننّـا نتبـرّر بـدون أعمـال النامـوس، فإنّـه لا يتحـدّث عـن أعمـال الإيمـان والنعمـة، لأنّ مَـن يقـوم بمثـل هـذه الأعمـال لا يعتقـد أنّـه يتبـرّر بفعلهـا. فعندمـا يقـوم الشـخص المؤمـن بأعمـال الإيمـان هـذه، فهـو إنمـا يسـعى إلـى أن يكـون مبـرراً بالإيمـان. أمـا مـا يعنيـه بولـس الرسـول بأعمـال النامـوس، فهـو أن أصحـاب البـرّ الذاتـي يعتقـدون أنـه مـن خـلال القيـام بهـذه الأعمـال يكونـون مبرريـن. وبهـذه الطريقـة يعتبـرون أنفسـهم أبـراراً بأعمالهـم. وبعبـارة أخـرى، هـم يقومـون بمـا يقومـون بـه ليـس سـعياً وراء البِـرِّ، ولكنهـم يريـدون فقـط أن يفتخـروا بأنهـم قـد حصلـوا علـى التبريـر بالفعـل مـن خـلال أعمالهـم» (مارتـن لوثـر، تعليـق علـى رسـالة رومية، صفحـة ٨٠).

أسئلة للنقاش

١. تصفّح آيات هذا الأسبوع، ومن ثم اكتب فقرة تلخِّص ما ورد في هذه الآيات. شارك الفقرة التي كتبتها مع الآخرين في الصف.

٢. اقرأ اقتباس مارتن لوثر. أعلاه. لماذا ألهبت حقيقة كهذه شعوره بهذه الطريقة؟ لماذا يعد ما قاله ذات أهمية بالغة بالنسبة لنا اليوم؟

٣. ينظر الأدفنتست السبتيون إلى أنفسهم على أنهم ورثةٌ وبُناةٌ على مفاهيم النهضة الإصلاحية البروتستانتيّة الخاصة بتعاليم الكتاب المقدس حول التبرير بالنعمة من خلال الإيمان وحده. وهم يعتبرون أنفسهم أيضاً مرمّموا الثغرة ومفسروا كمال ووضوح وتوازن الإنجيل الرسولي. [إيفان ت. بلازن، «الخلاص»، دليل لاهوت الأدفنتست السبتيين (هاغرستوون، ماريلاند: جمعية ريفيو آند هيرالد للنشر، ٢٠٠٠)، صفحة ٣٠٧]. ما هي الأسباب التي لدينا للاعتقاد بأن هذا الأمر ينطبق علينا؟